[28] يطو عائشة، محمد بن أبي شنب رائد المحققين الجزائريين، مجلة التراث العربي– دمشق– العدد 106 السنة السابعة والعشرون – نيسان 2007 – ربيع الآخر 1428.

[29] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي من 1830–1954،. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان. ط1 (1998م) ، ج8/ ص: 168

[30] المرجع نفسه، ص:172.

يومي 14 و 15 أبريل 2013

الاسم: زين الدين

اللّقب: بن موسى

التخصص: اللّغة العربية وعلومها

الدرجة العلمية: دكتور

الرتبة: أستاذ محاضر صنف (أ) بقسم الآداب واللّغة العربية.

المؤسسة العلمية: جامعة قسنطينة 1.

العنوان الشخصي:16 حي شيدخ محمد سيدي مبروك قسنطينة25000 الجزائر.

البريد الالكتروني:albayane05@yahoo.fr

الهاتف:00213661313771

محور المداخلة: **مناهج تحقيق المخطوط عند العرب**

عنوان المداخلة: **جهود محمود شاكر في تحقيق المخطوط العربي وقواعده المنهجية.**

ملخص المداخلة:

قليلون هم أولئك الذين تقرّبوا من علم تحقيق المخطوطات تنظيرا وتطبيقا في الوطن العربي لاسيما في النصف الأخير من القرن الماضي؛ حيث لم يتصدّر لمدارسة هذا العلم وتعليمه إلاّ زمرة من العلماء الأفذاذ الذين وهبوا زبدة فكرهم وشطرا من حياتهم لخدمة التراث العربي برمّته دون استثناء، حيث إنّ القيمة العلمية للمخطوط هي التي كانت تستهويهم وتحفّزهم على تحقيقه بغضّ النظر عن موضوعه، ولما كانت أمانة تحقيق التراث واكتشاف نفائس مخطوطاته من أثقل أعباء الأمانات في الفكر الإنساني لم يتجرأ على حملها سوى نفر من العلماء تميّزوا بالصّبر والجلد يسبقهما سعة الاطّلاع والولع بكلّ ما هو أصيل في فكر الحضارة العربية الإسلامية.

ولعلّ أشهر من حمل لواء هذا العلم المضني في هذا العصر في الوطن العربي الشيخ محمود محمد شاكر (أبو فهر) الذي أغنى المكتبة العربية بعدّة كتب تصنّف ضمن دائرة كرائم المخطوطات المحققة، فانتخابه للمخطوط كان مبنيا على منهج رصين اتّضحت معالمه من خلال نوعية المادّة العلمية من جهة وقيمة المصدر الذي تحدّده ميزة الزمن الذي ألّف فيه ومكانة مولّفه من جهة أخرى، فشخصية المحقّق المبرّز عند محمود شاكر تكمن في منهجه الذي انفرد به عن أقرانه ومعاصريه من شيوخ التحقيق، فالنقد بجميع أدواته هو السّمة الغالبة على طريقة التحقيق في ما أخرجه للنّاس من مخطوطات، كما أنّ الدّقة العلمية في التخريج والتوثيق هي سمته التي ما انفكّ يؤكّد عليها تنظيرا وتطبيقا في مقدّمات التحقيق ومتون الكتب.

وسنحاول من خلال هذه المداخلة توضيح قواعد الشيخ محمود شاكر المنهجية في تحقيق المخطوط وتبيان جهوده العلمية التي تنمّ عن فكر ثاقب وذهن متيقظ وشخصية عالم حاذق.

مقدّمة:

لقد أنجبت مصرُ عديد المحقّقين المبرّزين من أمثال عبد السّلام هارون ومحمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد محي الدين عبد الحميد وآل شاكر الأخوين أحمد ومحمود ولا تفاضل بينهم لكونهم جميعا أسهموا في إحياء التراث وتحقيق المخطوط العربي ولم يدّخروا وُسعا في الكشف عن نفائسه وتحديد أماكن تواجده بل اجتهدوا في جملتهم وقدّموا أكثر من دليل يُفهرس مختلف المخطوطات بحسب المكتبات التي تحويها أو المواضيع التي تتضمّنها، فتشكّلت بذلك مدرسة لها منهجها الخاص في التحقيق تتلمذ فيها أجيال من العلماء ضمّت نحو هؤلاء النخبة وغيرهم كثير، إلاّ أنّ ميزة كلّ واحد منهم تكمن فيما حقّق من مخطوط سواء من حيث الكمّ أو انفراده بخصائص منهج مستقلّ طبع أعماله التي ميّزته عن غيره، فهذه السّمة

عند المحققين المصريين جعلت منهم أكثر علماء العرب إنتاجا في هذا العصر لاسيما في مجال اهتمامهم بالتراث ونشر مخطوطه، وموازاة مع هذا الجهد احتضنت مصر المعهد العربي للمخطوطات التابع للجامعة العربية، هذه المؤسسة العلمية التي حوت الملايين من المخطوطات والتي جُمعت من أقطار مختلفة في العالم إمّا بالتصوير الفيلمي أو العثور على النسخة الأصيلة أو ما يقابلها.

والذي أثرى هذه الحركية العلمية هو تعاقب أجيال من المحقّقين في هذا البلد لهم الاهتمام نفسه فكلّ من تصدّى للتحقيق من العلماء المصريين إلاّ وكان له اليد الطُولى في استخراج المخطوط من مدافنه وإبراز القيمة العلمية لتلك الكتب، كما أنّهم لم يبخسوا حقّ القدماء فيما ورّثوه من إرث فكري واجتهدوا في تثمين ما أنجزه السّلف ماديّا ومعنويا من خلال معالم الحضارة التي أسّسوها أيّام ازدهارها وهذا النّشاط العلمي الذي تصدّر لتبيان خصائصه وميزاته ثلّة من أولئك العلماء كان على رأسهم الشيخ محمود محمد شاكر (أبو فهر) الذي تشرّب حبّ التراث في نفسه ونافح عنه في جميع كتاباته ومقالاته وحاول أن يؤسّس نظرية قائمة بذاتها قواعدها الأولى استيعاب فكر القدماء الذي يضمن أصالة الانتماء إلى هذه الأمّة أوّلا وهذا الوازع هو ما دفع بمحمود شاكر إلى خوض غمار التحقيق والكشف عن مقوّمات الفكر العربي التي من خلالها ألّف علماء العرب هذا الكمّ الهائل من الكتب.

ولم يكن محمود شاكر في اهتمامه بالتراث العربي من المكثرين في تحقيق مخطوطه بل كان جلّ اهتمامه منصبّا حول نوعية التحقيق تلك الكتب وكيفية إخراجها للنّاس وفق منهج قويم يتلاءم وقيمة مضمون تلك المؤلّفات؛ حيث إنّه كان يقضي شطرا من حياته في البحث عن أصول المخطوط الواحد والكشف عن مصادر مادّته وما يشكل من معاني ألفاظه لهذا فقد اجتمع لديه نزر يسير ممّا حقّق من كتب إلاّ أنّها أبانت عن منهج محقّق مقتدر له من الملكات العلمية ما يؤهله بأن يكون أسوة لغيره في هذا المجال.

وسنحاول في هذه المداخلة إبراز خصائص منهج الرّجل في التحقيق وكيف أنّه تمكّن من إرساء دعائم هذا العلم لدى المحقّقين العرب في هذا العصر.

أوّلا: نبذة عن حياة الأستاذ محمود شاكر

محمود بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر، من أسرة أبي عَلْياء من أشراف جِرْجا بصعيد مصر، وينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي رضي الله عنه.

وُلد في الإسكندرية ليلة عاشوراء المحرّم سنة 1327 للهجرة، الموافق لأوّل فبراير سنة1909 الميلادية، انتقل إلى القاهرة صيف عام1909م بتعيين والده وكيلا للجامع الأزهر(1909-1913م) وكان قبل ذلك شيخا لعلماء الإسكندرية، تلقّى أوّل مراحل تعليمه في مدرسة الوالدة أم عبّاس في القاهرة سنة1916م، وبعد ثورة 1919م انتقل إلى مدرسة القِرِبِيَّة بدرب الجماميز، وفي سنة 1921م دخل المدرسة الخديوية الثانوية.

مع بداية عام1922م قرأ على الشيخ سيد بن علي المرصفي صاحب (رغبة الأمل) فحصّل دروسه التي كان يلقيها بعد الظهر في جامع السّلطان بَرْقُوق، ثمّ قرأ عليه في بيته (الكامل) للمبرّد، و(حماسة أبي تمّام) وشيئا من (الأمالي) للقالي، وبعض أشعار الهذليين، واستمرت صلته بالشيخ المرصفي إلى أن توفي رحمه الله في سنة1349هـ. 1931م.

وقد نال الشيخ محمود شاكر شهادة البكالوريا(القسم العلمي) عام1925م، وفي سنة1926م التحق بكلية الآداب الجامعة المصرية، قسم اللّغة العربية، واستمرّ بها إلى السّنة الثانية، حيث نشب خلافٌ شديد بينه وبين أستاذه الدكتور طه حسين حول منهج دراسة الشعر الجاهلي، كما بيّنه في مقدمة الطبعة الثانية من كتاب (المتنبي)[1] وترتّب على ذلك تركه الدّراسات الجامعية.

وفي سنة 1347هجريةالموافق لسنة1928 ميلادية ترك الجامعة وسافر إلى الحجاز مهاجرا، فأنشأ ـ بناء على طلب الملك عبد العزيز آل سعود ـ مدرسة جدّة السعودية الابتدائية وعمل مديرا لها ولكنّه ما لبث أن عاد إلى القاهرة في أواسط عام1929م.

بعد عودته إلى القاهرة انصرف إلى الأدب والكتابة، فكتب في مجلتي (الفتح)و(الزهراء) لصاحبهما الأستاذ محب الدّين الخطيب، وأكثر ماله فيها الشهر، وكان من كتّابهما منذ كان طالبا.

هوامش المادة العلمية:

[1] ينظر فصول هذا الصّراع الفكري: المتنبي (رسالة في الطّريق إلى ثقافتنا): محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ط2،1987م، ص161-192.

بدأت صلة الشيخ محمود شاكر بالعلماء منذ شبّ في بيت أبيه، فعرف السياسيين والعلماء الذين كانوا يتردّدون على والده، كما اتّصل مباشرة بعلماء العصر أمثال محب الدين الخطيب وأحمد تيمور باشا والشيخ محمد الخضر حسين وأحمد زكي باشا والشيخ إبراهيم أُطفيّش ومحمد أمين الخانجي وغيرهم، كما تعرّف إلى الشاعر أحمد شوقي وكان يلتقيه في الأماكن العامّة التي كان الشاعر الكبير يتردّد عليها.

وكانت بينه وبين مصطفى صادق الرّافعي مراسلات بدأت منذ سنة1921م وتوثّقت عرى التواصل المعرفي بينهما، وظلّت هذه الصّلة وطيدة إلى أن توفّي الرّافعي رحمه اللّه في سنة1356هالموافق لسنة1937م، فحزن عليه حزنا شديدا صرفه عن استكمال ردوده على الدكتور طه حسين في موضوع المتنبي التي كانت تنشر في جريدة البلاغ[2].

ومكانة الرّافعي عنده يوضحها تقديمه لكتاب سعيد العريان عن حياة الرّافعي، وقد ظلّت هذه الرّابطة بينهما تحول سنين عديدة دون التواصل بينه وبين الأستاذ العقّاد، ثمّ صارت بينه وبين الأستاذ العقاد صحبة وصداقة عميقة بعد ذلك.

بدأ محمود شاكر الكتابة في مجلة (المقتطف) منذ سنة1932م، ثمّ في مجلتي (لرّسالة) و(البلاغ) ولكنّه كان على صلة بالرّسالة في كتابة متقطّعة إلى أن توقّفت عن الصدور، وفي سنة 1357هالموافق لـ1938م أخذ امتياز إصدار مجلة (العصور) من الأستاذ إسماعيل مظهر لتصدر أسبوعية بعد أن كانت شهرية، وصدر منها عددان: الأوّل في27 رمضان 1357هجرية الموالفق لـ19 نوفمبر1938ميلادية، والثاني في 17 شوال1357هجرية الموافق لـ9 ديسمبر1938ميلادية، ثمّ توقّفت عن الصدور بعد أن كان قد دفع بعددها الثالث إلى المطبعة.

في هذه الفترة قامت صداقة عميقة وعلاقة وطيدة بينه وبين كل من الكاتب الكبير الأستاذ يحي حقّي والشاعر الرّاحل محمود حسن إسماعيل، وكان كلّ منهما يعدّ الأستاذ شاكر إماما عليما بأسرار البيان العربي في شعره ونثره، ومرجعا حيّا للثقافة العربية في مجموعها، يأنسان

---

(2) ينظر القصيدة التي رثى بها مصطفى صادق الرّافعي والتي مطلعها:

رحمةُ الله عليك !رحمة الله عليكَ!

رحمةُ الله لقلب حزين، وكبد مصدوعة!

جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر، جمع وتقديم: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر،ط1،2003م، ط1،5/1.

إلى ذخيرته في إبداعهما الأدبي، وقد عبّر كلّ منهما عن تلك الرّابطة في أكثر من مقام من مقامات القول، منها قصيدة الأستاذ محمود حسن إسماعيل في تقديم (القوس العذراء)، كما ذكر الأستاذ يحي حقّي في بعض أحاديثه الصحفية أنّه قرأ أمّهات كتب الأدب العربي على الأستاذ شاكر.

وبناء على دعوة من صديقه فؤاد صرّوف صاحب (المقتطف) أسهم في اختيار وترجمة مواد مجلة(المختار) بدءا من عددها الثاني ولكنّه توقّف بعد قليل.

وفي الفترة القليلة التي شارك فيها في إخراج(المختار) استطاع أن يقدّم مستوى للترجمة الصحفية لم يعرف من قبل، وأدخل عددا من المصطلحات الجديدة في اللّغة للتعبير عن وسائل واختراعات حديثة من(نوع الطائرة النفّاثة)[3] ومازال عدد من الصّحفيين الحاليين يعتبرون عناوين (المختار) التي كان يصوغها نموذجا يُحتذى في هذا الباب.

تعرّف الشيخ محمود شاكر على الأستاذ فتحي الرّضوان في الأربعينيات كما أسهم بالكتابة في مجلة(اللّواء الجديد)، ولقد انقطع عن الكتابة في الصّحف والمجلاّت بعد إغلاق (الرّسالة) القديمة في سنة1952م، وتفرّغ للتأليف والتحقيق ونشر النّصوص، فأخرج جملة من أمّات الكتب العربية مثل:(تفسير الإمام الطبري) في ستة عشر جزءا بالاشتراك مع أخيه الأكبر الشيخ أحمد محمد شاكر حتّى سنة1958م، و(طبقات فحول الشعراء) لمحمد بن سلاّم الجمحي و(جمهرة أنساب العرب) للزبير بن بكّار، كما شارك في إخراج(الوحشيات) لأبي تمّام و(شرح أشعار الهذليين).

لينشر في عام 1952م قصيدته (القوس العذراء) التي تعدّ معلما على طريق الشعر الحديث رغم التزامها بحرا متساوي الشطرين ومحافظتها على وحدة القافية ثمّ أعاد نشرها مرّة ثانية سنة1964م.

كما ألّف كتابه الشهير(أباطيل وأسمار) وهو مجموعة مقالات(خمس وعشرون مقالة) كتبها في مجلّة الرّسالة الجديدة، ثمّ طبعت مرّتين، المرّة الأولى سنة1965م وصدر مجلّد واحد(فيه قسم من المقالات) وصودر المجلد الثاني، والمرّة الثانية سنة1972م في مجلّدين ضمّا جميع المقالات.

---

[3] يعدّ هذا المصطلح من المصطلحات المعاصرة المستخدمة في مجال التقانة والميكانيك؛ ينظر المنجد في اللّغة العربية المعاصرة: أنطوان نعمة وآخرون، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط1، 2000، مادة (ط ي ر) و (ن ف ث).

وكان سبب كتابة هذه المقالات التعليق على ما نشره الدكتور لويس عوض، المستشار الثقافي لجريدة الأهرام القاهرية حينذاك، في جريدة الأهرام بعنوان (على هامش الغفران) وذهب فيما نشره إلى تأثّر المعرّي بحديث الإسراء والمعراج، كما ألمح إلى أثر الأساطير اليونانية وغيرها في الحديث النبوي، ممّا دفع الأستاذ محمود شاكر إلى بيان تهافت كلام لويس عوض وجهله وافترائه، ثمّ انتقل إلى الكلام عن الثقافة والفكر في العالم العربي والإسلامي وما طرأ عليهما من غزو فكري غربي ولاسيما حركة التبشير التي غزت العالم العربي والإسلامي، وما تنطوي عليه هذه الحركة من أساليب ووسائل وقادَهُ البحث إلى تناول قضايا مهمّة بحيث يعدّ (أباطيل وأسمار) من أهم كتبه، بل من أهمّ الكتب التي ظهرت في المكتبة العربية في العشرين عاما الأخيرة.

وأعاد طبع كتابه عن (المتنبي) الذي نُشر كعدد مستقل من(المقتطف) سنة1963، وقد أثار الكتاب ضجّة كبيرة حين صدوره بمنهجه المبتكر وأسلوبه في البحث والإبداع، ومقدّمته التي عنوانها(لمحة من فساد حياتنا الأدبية) التي تناولت بكلّ صراحة ما اعترى الحياة الأدبية في النّصف الأوّل من هذا القرن من فساد، وما أصاب أجيال المثقفين من تفريغ، تولّى كِبْرَهُ واضع نظم التعليم في مصر المبشّر (دنلوب) الذي سيطر سيطرة تامّة على التعليم[4] والذي لا تزال آثارُه باقية على أشنع صورة في نظمنا التعليمية.

وبعد أن ذاع صيته وانتشرت كتاباته في مختلف المجلاّت وأفكاره حول منهجه الجديد في كتبه التي صدرت مابين 1940م و1975م بدأت أجيال من دارسي التراث العربي والمعنيين بالثقافة الإسلامية من كافة أرجاء العالم الإسلامي يختلفون إلى بيته، ويتردّدون على مجالسه العلمية يأخذون عنه ويفيدون من علمه ومكتبته الحافلة التي يسّرها للدارسين والباحثين منهم الدكتور ناصر الدّين الأسد والدكتور إحسان عبّاس والدّكتور شاكر الفحّام والأستاذ أحمد راتب النفّاخ والدكتور محمد يوسف نجم.

وفي سنة1957م أسّس مع الدكتور محمد رشاد سالم والأستاذ إسماعيل عبيد مكتبة دار العروبة لنشر كنوز الشعر العربي ونوادر التراث وكُتب بعض المفكرين كما شارك الشيخ محمود شاكر في عدد من المؤتمرات والملتقيات العربية فحضر(مؤتمر الأدباء العرب) في بغداد

---

[4] أباطيل وأسمار: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3،2005م،35/1.

سنة1970م، ودُعي إلى حضور الدروس الرّمضانية التي تعقد في ليالي رمضان في القصر الملكي بالرباط في المملكة المغربية (رمضان1359م).

كذلك لبّى دعوة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وألقى سلسلة محاضرات عن الشعر الجاهلي صدرت في كتاب بعنوان(قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلاّم الجمحي).

وقد حالت ظروفه دون تلبية كثير من الدّعوات لحضور مؤتمرات وملتقيات عربية وإسلامية كثيرة.

انتخب عضوا مراسلا في (مجمع اللّغة العربية) بدمشق سنة1980م، كما اعتقل مرّتين في زمن حكم جمال عبد النّاصر الأولى لمدّة تسعة أشهر في الفترة بين9 فبراير1959م إلى أكتوبر1959موالثانية لمدّة ثمانية وعشرين شهرا من 31 أغسطس1965 م وحتّى30 ديسمبر1967م.

كرّمته الدولة فأهدته (جائزة الدولة التقديرية في الآداب) في عام1981م تقديرا لجهوده وإسهاماته المتعدّدة في خدمة تراث الإسلام، ودرايته الواسعة بعلوم العربية ومكانته المتميّزة في تاريخ الفكر الإسلامي، وعلى المستوى العربي نال جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي وتسلّم الجائزة في احتفال بحضور الملك فهد بن عبد العزيز في الرياض في 24 جمادى الأولى سنة1404هـ الموافق لـ 25 فبراير سنة1984م، كما انتخب عضوا عاملا في مجمع اللّغة العربية بالقاهرة عام1982م وعضوا بالمجلس الاستشاري لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي(1991-1997م)وعضو مجلس إدارة دار الكتب والوثائق القومية(1994-1997م)، لينتقل إلى جوار ربّه تعالى مساء يوم الخميس3 ربيع الثاني1418هـ الموافق لـ7أغسطس1997م[5].

ولما بلغ الشيخ محمود شاكر هذه المكانة العلمية وشاع اسمه في الخافقين كان لا بدّ من أن يحتفي العلماء وطلبة العلم بشخصه وآثاره ويكون محطّ أنظار الباحثين من خلال دراساتهم المختلفة؛ حيث مثّل لهم مدوّنة ثرية في البحث ومن أهم الدّراسات العلمية المطبوعة التي تناولت سيرة حياته وأعماله العلمية:

---

[5] من أعلام العصر(آل شاكر): أسامة أحمد شاكر، مكتبة الإسكندرية، مصر، ط1،2001، ص73-82.

. شيخ العربية وحامل لوائها أبو فهر محمود محمد شاكر بين الدرس الأدبي والتحقيق لمحمود إبراهيم الرضواني..

-محمود محمد شاكر الرجل والمنهج لحسن القيام.

. المتنبي بين طه حسين ومحمود شاكر لإسماعيل الشرقاوي.

. محمود محمد شاكر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي لإبراهيم محمد الكوفحي.

. محمود محمد شاكر الأديب الناقد للدّارس نفسه.

. الصورة الفنية في شعر محمود محمد شاكر عبد اللّه خميس سنكر.

. مقالات حارس التراث أبي فهر محمود محمّد شاكر لإبراهيم بن محمّد أبا نمى.

. محمود محمد شاكر شاعرا لأماني حاتم بسيسو.

. محمود محمد شاكر إسهاماته في البحث العلمي والتحقيق الأدبي لمحمد إبراهيم.

. جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر جمع الدكتور عادل سليمان جمال.

. معجم محمود محمد شاكر لمنذر أبي شعر.

-وهناك كتاب طبعته دار الخانجي بعنوان (دراسات عربية وإسلامية) مهداة للعلامة محمود شاكر بمناسبة بلوغه السبعين شارك في كتابة هذه البحوث والمقالات عدد من طلاب الشيخ ومحبيه وهو كتاب نفيس.[6]

ثانيا: جهوده في تحقيق المخطوط

لقد أصدرت دور النشر عدّة كتب ألّفها الشيخ محمود شاكر من حرّ فكره وأبان فيها عن وجهته في الحياة العلمية التي حفلت بنشاطات متنوّعة شملت جميع ميادين المعرفة، كما اتّضح ذلك من خلال العنصر السّابق من هذه الدّراسة، فعطاؤه العلمي لم ينحصر في كتابة المقالات أو تأليف الكتب بل تجاوز كلّ ذلك ليعمّ مجالات أخرى كالمشاركة في المجامع اللّغوية والعلمية، ولعلّ أبرز محطّة في حياته العلمية هي مشيخته لجيل من الطلبة أصبحوا في بعد أقطاب الحركة الفكرية في مصر، وهذا ما يبيّن جدارة الرّجل بمنصبه العلمي الذي أهّله لكي يكون مرجعا في مختلف العلوم اللّغوية والأدبية، ولم يتأت له ذلك إلاّ باطّلاعه الواسع

---

[6] آراء محمود شاكر وجهوده اللّغوية: محاسن بنت أحمد بن محمود مولوي قربان،إشراف: عليان بن محمد الخوارزمي، مخطوط رسالة ماجستير، قسم اللّغة والنحو والصرف كلية اللّغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،مسجّلة تحت رقم42380187 ص26.

على التراث الذي استقرأه بعمق وفهم رسالته وأدرك أبعاد الحضارة الإسلامية التي تضمّنتها أفكار علماء السّلف المبثوثة في بطون كتبهم التي أقبل عليها محمود شاكر بنهم يقرأ ما فيها ويعبّ من معينها حتّى صارت بالنّسبة إليه مصدر الهوية الواجب حمايتها والكشف عن مظانّها وقيمتها، وهذا ما ألقى بظلاله وكلكله على شخصيته العلمية وحفّزه على أن يلج عالم تحقيق المخطوط ويسهم فيه بحظّ وافر؛ حيث قدّم للمكتبة العربية نفائس المخطوط في التراث الأدبي الذي اختار منه أعزّ كتبه وهي:

- (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني رحمه الله ، حققه وكتب على واجهته (قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود شاكر).
- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني قرأه وعلق عليه كذلك.
- فضل العطاء على العسر للعسكري ، ضبطه وعلق عليه.
- إمتاع الأسماع للمقريزي حقّق الجزء الأول منه.
- طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي. حققه وهو من أفضل تحقيقاته وشروحه.
- تحقيق تفسير الطبري بالتعاون مع أخيه أحمد محمد شاكر رحمه الله وبلغ في تحقيقه إلى منتصف سورة إبراهيم.
- الوحشيات لأبي تمام ، زاد في تعليقات الميمني عليه.
- جمهرة نسب قريش وأخبارها حققه كذلك.
- إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع لتقي الدين المقريزي صحّحه وشرحه.
- المكافأة وحسن العقبى لأحمد بن يوسف بن الدّاية الكاتب حقّقه وشرحه وصحّحه.
- شرح أشعار الهذليين صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السُكّري الواقع في ثلاثة أجزاء راجع تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج له.

ثالثا: أسس منهجه في التحقيق

استطاع محمود شاكر أن يرسي منهجا متميّزا في التّحقيق انطلاقا من تجاربه المتكرّرة التي تجلّت في الممارسة الفعلية في تحقيق المخطوط وإخراجه، وذلك بالرّغم من العدد الضئيل

الذي حقّقه من الكتب لأنّه اعتمد مبدأ ترجيح النّوع على الكمّ ويمكن أن نتلمّس معالم منهجه في التحقيق من خلال الخصائص الآتية:

1ـ موقفه من تحقيق المستشرقين للتراث العربي: لم يكن لمحمود شاكر أن يغمط حقّ المستشرقين في إسهامهم العلمي وما أصدروه من كتب تراثية، لكنّه تعقّبهم في منهج تحقيقهم وأعاب عليهم تقحّمهم في دراسة تراث فكري لا علاقة لهم به لا من حيث الانتماء ولا من حيث اللّغة الناطقة بلسانه[7]؛ فالمستشرقون استحدثوا مجموعة من القواعد التي تناسب متونهم لكنّها لا تناسب بالضّرورة الكتب العربية لأنّ منطلقات التأليف تختلف عندنا ومن ذلك ارتباط التأليف في اللّغة العربية بالرّواية والإسناد في حين تخلو كتب الأعاجم من هذه الفضيلة، يقول محمود شاكر: (وباب ثالث لا بدّ منه أيضا، يعلمه كلّ من له خبرة بالكتب المخطوطة، لا في العربية وحدها، بل في جميع لغات الأعاجم التي أورثت أهلها كتبا مخطوطة، مع خلوّ مخطوطات الأعاجم من فضيلة الإسناد الذي تميّزت به العربية وحدها قرونا متطاولة. أمر مألوف كلّ الإلف، أن يوجد من كتاب واحد، لمؤلّف واحد، نسخ يكثر عددها أو يقلّ، يتردّد جميعها بين التّمام والنقص، وبين الاختصار الهيّن والاختصار المبين، ويكون ذلك من فعل من أدّى إلينا الكتاب عن مؤلّفه. بل إنّ المؤلّف نفسه قد يترك بين تلامذته نسخا من كتابه بعضها أتمّ من بعض، بما أدخل هو نفسه على كتابه، تطاول السنين، من زيادة أو حذف أو تبديل أو تغيير أمر مألوف كل الإلف)[8].

فغياب مثل هذه الإحاطة بعلمي الرّواية والدّراية حتما سيكون له كبير الأثر في قيمة ووزن الكتاب المحقّق إذا ما أشرف عليه مستشرق يجهل خصوصية مؤلفات العرب وكيف أنّهم نقلوا علومهم بالسّند جيلا بعد جيل، فمحمود شاكر يتبرأ من شنيع فعل المستشرقين وتعاطيهم مع التراث بقوله: (وقبل كلّ شيء، فأنا لم ابلغ يوما ما من السّذاجة والغفلة وطيب النّفس، مبلغا يحملني على أن أعتقد، مغرورا بما أعتقد أنّ فتًى أعجميا غريب الوجه واليد واللّسان عن العربية، يدخلُ في العشرين أو الخامسة من العشرين من عمره، قسم (اللّغات الشرقية) في جامعة من جامعات الأعاجم، فيبتدئُ تعلم ألف باء،تاء،ثاء، أو أبجد

---

[7] ينظر جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر 125/1.

[8] ينظر برنامج طبقات فحول الشعراء: محمود شاكر في مقدّمة تحقيق طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلاّم الجمحي،دار المدني، جدّة، المملكة العربية السعودية، دط، دت، 44/1.

هوّز في العربية ويتلقّى العربية نحوها وصرفها وبلاغتها وشعرها وسائر آدابها وتواريخها، عن أعجميّ مثله، وبلسان غير عربيّ، ثمّ يستمع إلى محاضر في آداب العرب أو أشعارها أو تاريخها أو دينها أو سياستها بلسان غير عربيّ، ويقضي في ذلك بضع سنوات قلائل، ثمّ يتخرّج لنا مستشرقا(في اللّسان العربي والتاريخ العربي والدّين العربي)، ندين له نحن العرب بالطّاعة، ولم أبلغ من السّذاجة أن أعتقد أنّ هذا ممكن، وإن كنت أعلم علم اليقين أنّ كثيرا من أهل جلدتنا اليوم قد دانوا بذلك،وجعلوا الأمر ممكنا كلّ الإمكان)[9].

2. نظرته إلى علم التحقيق: كثيرا ما اعتقد الدّارسون المعاصرون أنّ علم التّحقيق هو علم مستحدث لم يبتدعه إلاّ المستشرقون، غير أنّ هذه الحقيقة سرعان ما تدحض عند من استقرأ التراث العربي وعرف منهجهم في الأمالي العلمية ونقل الأخبار، وقد ظهرت معالم علم التحقيق الموضوعية لا الشكلية عند علماء الحديث خاصّة[10]، فهم قد اعتنوا أيّما عناية بالتثبّت من دقائق الحقائق بدءا بالحرف واللّفظ وانتهاء بالكتاب المتكامل تأليفه، ويكفي دليلا على ما بلغوه في مجال التحرّز من الخطأ والنّسبة هو ما ابتكروه من طرق في تحمّل العلم أشهرها الوجادة والمناولة والمكاتبة والإجازة[11]هذه القواعد الأصول في تحقيق المعارف هي التي تشبّث بها محمود شاكر وأرادها لنفسه منهجا أصيلا يتمكّن من خلاله من إعادة الأمور إلى نصابها حيث يخلص بوساطتها إلى لبّ التحقيق لا أن يقف على شكلياته فحسب ممّا اهتمّ به المستشرقون وورّثوه لطلبتهم من العرب الذين أخذوا عنهم، ويصف محمود شاكر هذه الظاهرة بقوله: (...لأنّي بالطّبع لست أتّبع أصول المنهج العلمي ولا فصول علم التّحقيق، لكي أملأ هوامش الكتاب بعلم فياض من فروق جهلة النّساخ في كتابة(ينبغي)، (تبتغي)،(يقولها)،(تقولها)،(يجرّن)،(يجرّر)(يقرآن)،(بقرآن)،(فراهيد)،(فراهيده)،(فردوسي) (قردوسي)،(يئلوا)،(يتلوا)،وأشباه هذه المعارف الجليلة التي تطفح على هوامش الكتب المحقّقة

---

[9] المصدر نفسه 117/1

[10]ينظر الجامع لأخلاق الرّاوي وآداب السّامع: الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الرحمان صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ،ص122 وما بعدها.

[11]ينظر تفصيل طرق تحمّل العلم عند العلماء العرب قديما: المزهر في علوم اللّغة وأنواعها: جلال الدّين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، مكتبة دار التراث، ط3، دت، 144/1 وما بعدها.

على أصول (المنهج العلمي)، وعلى فصول(علم التحقيق)، وقد أعفاني يوسف هل[12]، في آخر نسخته، من الاستغراق في ذكر خلافات المخطوطتين)[13]، وهذا ما جعل محمود شاكر يتنصّل من مسؤولية التحقيق أصلا ولا يُثبت هذا المصطلح على واجهة الكتب التي حقّقها كما هو واضح من خلال قائمة الكتب التي أوردناها في العنصر السّابق، وقد صرّح هو نفسه بقصده هذا الذي ارتضاه لنفسه بقوله: (فالدكتور علي جواد الطاهر، قد استخدم في مقالته هذه، وفي هذا الذي نقلته الكلمات الآتية(التحقيق)و(المحقّق)و(يحقّقه)و(حقّقه)، وسائر ما يتصرّف فيه هذا الفعل، وكذلك فعل غيره، كالدكتور منير سلطان والآخرين، وهذا خطأ شنيع، لأني قد أسقطت هذا اللّفظ وجميع مشتقاته من كلامي وكتبي، ودليل ذلك أني في الطبعة الأولى سنة 1952 كتب (طبقات فحول الشعراء) وتحته (شرحه محمود محمد شاكر) وفي الطبعة الثانية1974 كتبت اسم الكتاب، وتحته قرأه(قرأه وشرحه محمود محمد شاكر). وذلك تعمّد منّي، لأنّ (المنهج العلمي) و(علم التحقيق) الذي تخصّص فيهما الأساتذة الكبار كالدكتور علي هما من الأشياء التي طرحتها وراء ظهري منذ زمان طويل جدّا ولأسباب كثيرة جدّا، ولم أتّبع في عملي في كتاب الطبقات وغيره من الكتب إلاّ (منهجا) آخر يخالف (المنهج العلمي) كلّ المخالفة، في جذوره وفروعه، وكذلك نبذت أيضا مستنكفا لفظ (حقّق،وتحقيق،ومحقّق) وما يخرج منها نبذا بعيدا دَبْرَ أُذُني، لما فيه من التبجّح والتعالي والادّعاء، واقتصرت على (قرأ) لأنّ عملي في كلّ كتاب لا يزيد على هذا: أن قرأ الكتاب قراءة صحيحة، وأؤدّيه للنّاس بقراءة صحيحة، وكلّ ما أعلّق به عليه، فهو شرح لغامضه، أو دلالة للقارئ من بعدي على ما يُعينه على فهم الكلام المقروء والاطمئنان إلى صحّة قراءته وصحّة معناه، لا أكثر ولا أقلّ إن شاء اللّه، فكان لزاما على الدكتور علي وأمثاله أن يضعوني حيث وضعتُ نفسي، إنّما أنا قارئ أو شارح، أو دليل ليس غيرُ، لست (محقّقا)،

---

[12] هو جوزيف هيل المولود في1875 والمتوفّى سنة1950، تخرّج باللّغات الشرقية على فريتز هوميل، من جامعة إرلنجين، ثمّ عيّن أستاذا فيها، وقد عنى بالشعر العربي عناية خاصّة، من آثاره: الفقه الأكبر متنا وترجمة(بينا1915)، وحضارة العرب(ترجمه إلى الانجليزية خودابخش،كمبريدج1925)، طبقات الشعراء لابن سلاّم(ليدن1916)، ينظر ترجمته: المستشرقون: نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة مصر، ط5،2006،2/437.

[13] ينظر مقدّمة تحقيق طبقات فحول الشعراء: محمود شاكر 1/117.

إنّما المحقّق من يقول في(د): (قال)، وفي نسخة(ع):(نال)، وفي نسخة (م):(فال)،وهلمّ جرّا)[14].

3 ـ قواعده العامّة في التحقيق:

تفاوت المحقّقين لا يبرز إلاّ من خلال بعض المميّزات التي تطبع عملا دون آخر تكون بمثابة الختم الذي يُفرد جُهدا عن آخر وإن كانت بعض الجوانب الشكلية هي القاسم المشترك بين جميع المحققين؛ وأهمّ تلك الخصائص المنهجية في التحقيق التي اشترك فيها محمود شاكر مع غيره وبزّهم فيها ما يلي:

– عنايته بجمع نسخ المخطوط الواحد حيث إنّه لا يهدأ له بال حتّى يتحصّل على رغبته وما كان ينشده ولو قاده ذلك إلى أقاصي البلاد في هذه المعمورة، فما من دليل يقوده إلى بغيته إلاّ ويتّبعه لكي يستوثق ويزداد تأكّدا ممّا بدا له أنّه مظهر من مظاهر النّقص الذي من شأنه أن يشوّه النّسخة التي يريد أن يخرجها للنّاس كاملة غير مجتزأة، وما يشهد على حرصه هذا هو تتبّعه لنسخ المخطوطات في كلّ كتاب حقّقه لاسيما كتاب (طبقات فحول الشعراء)، و(دلائل الإعجاز)و(أسرار البلاغة).

ـ توثيقه لعنوان الكتاب: وله في ذلك مساجلات علمية ومطارحات نقدية كانت له مع أقرانه عندما أخرج للنّاس كتاب (طبقات فحول الشعراء) لابن سلاّم وقد ترسّخ في أذهانهم أنّ العنوان الأصيل لهذا الكتاب يخلو من كلمة (فحول)[15].

ـ سعيه الحثيث للتثبت من المصادر والمظانّ التي استقى منها المؤلّف مادة كتابه لكي يستكمل بها عند مراجعتها ما نقُص من المادّة العلمية التي هو بصدد تحقيقها[16]

ـ دقّه اصطفائه للكتب التي يروم تحقيقها لكي يستفيد منها النّاسُ نظرا للقيمة التي تحويها؛ وما صنيعه بتفسير الطبري إلاّ خير دليل على ذلك، فهو قد نظر في طبعات الكتاب المختلفة وعثر على موضع الخلل فيها فبذل قُصارى جهده في إيجاد النّسخ الأصيلة التي يمكنها أن ترؤب هذا الصدع الذي شوّه طبعات الكتاب الكثيرة، وتفسير الطبري مصدر نفيس مثّل

---

[14] المصدر نفسه158/1

[15] المصدر نفسه133/1

[16] ينظر جهده في هذه المسألة: مقدّمة تحقيقه دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، مطبعة المدني، القاهرة، مصر،ط3، 1992م، ص هـ.

لعصور طويلة قديمها وحديثها معينا لكل من أراد أن يطّلع على أصول التفسير ورواياته فمحمود شاكر قد قدّر قيمة هذا الكتاب وطاوعته نفسه في تحقيقه رفقة أخيه المحدّث أحمد شاكر بالرّغم من المصاعب الجمّة التي واجهاها في نسخه وتقسيم فقراته وتخريج شواهده المختلفة؛ يقول محمود شاكر متحدّثا عن هذه المعاناة التي كابدها في سبيل تحقيق هذا السّفر النفيس:(بيد أني كنت أجد من المشقة في قراءته ما أجد، كان يستوقفني في القراءة كثرة الفصول في عبارته، وتباعد أطراف الجُمَل، فلا يسلم لي المعنى حتى أعيد قراءة الفقرة منه مرتين أو ثلاثاً .وكان سبب ذلك أننا ألفنا نهجاً من العبارة غير الذي انتهج أبو جعفر، ولكن تبين لي أيضاً أن قليلاً من الترقيم في الكتاب، خليق أن يجعل عبارته أبينَ، فلما فعلت ذلك في أنحاء متفرقة من نسختي، وعُدْتُ بَعْدُ إلى قراءتها، وجدتها قد ذهب عنها ما كنت أجد من المشقة...فتمنّيت يومئذ أن ينشر هذا الكتاب الجليل نشرة صحيحة محققة مرقمة، حتى تسهل قراءتها على طالب العلم وحتى تجنبه كثيراً من الزلل في فهم مراد أبي جعفر)[17].

ـ إعداده للفهارس الفنيّة لكلّ كتاب بما يستوجبه موضوعه؛ حيث إنّ هذه الفهارس تتنوّع بحسب المادّة العلمية للكتاب فهو مثلا في تحقيقه لتفسير الطبري ارتأى أن يجعل لكلّ جزء فهارسه لتقريب المطلوب من القارئ لأنّه لو جمعها في جزء منفصل يكون في آخر الكتاب لكان ذلك أشق على قارئ الكتاب إذا ما أراد العودة إلى مظان المعلومة من خلال إحالتها في الفهارس لاسيما وأن الكتاب يقع في أربعة وعشرين جزءا، ولعلّ كشفه عن المصطلحات النحوية ورصدها في التفسير ومحاولته جمع وحصر أكثر من ألفي شاهد شعري خير دليل على صبره ودقّة استقصائه.

نتائج الدراسة

قيمة الكتب التي حققها محمود شاكر تكتسي أهميتها في ثراء الإحالات العلمية المتنوعة شكلا ومضمونا فالصورة التطبيقية لمنهجه يمكن عدّها مدرسة متكاملة المعارف في جميع العلوم اللغوية والأدبية.

ما يدل على حنكته في التحقيق وامتلاكه للأدوات الفاعلة في استقراء التراث هو عدم اقتفائه لأثر المستشرقين في هذا العلم بل إنه تعقبهم وأوضح الزلل فيما أخفقوا في تحقيقه إما

---

[17] ينظر مقدّمة تحقيقه لجامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر الطبري، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2000م،11/1.

لعجزهم في إدراك معنى التُبس عليهم لعُجمتهم أو لكونهم نظروا إلى الحقيقة العلمية بعين واحدة تفتقد إلى الحيادية والمصداقية.

مثلت تحقيقاته فضاء نقديا تحكمه الموضوعية في أحايين كثيرة لأن أطراف الصراع في تلك المعارك النقدية تسلحوا بأعز ما يملكونه في علم التحقيق وسبر أغوار التراث بجميع أسراره ومكامنه فمحمود شاكر من خلال ردوده على خصومه ومعارضيه في الفكرة والمنهج لم يكن سوى هاديا إلى سبيل الحق الذي طُمست معالمه حينما ازدرى بعض المحدثين من العرب تراث أمتهم وتنكروا له إما جهلا لقيمته أو هي مجاراة للذين يتربصون الدوائر بأصول الفكر الإسلامي العربي.

المبتغى الذي كان ينشده محمود شاكر من وراء كتاباته عموما وتحقيقاته خصوصا هو استكناه مقاصد الفكر العربي الأصيل وتجديده بما يتوأم وهوية هذه الأمة دون اجترار عقيم أو تقليد أعمى لما قاله وتركه القدماء، لكن الأمر عنده فيه سعة للاجتهاد الذي لا مجال فيه للانسلاخ والاستغراب.